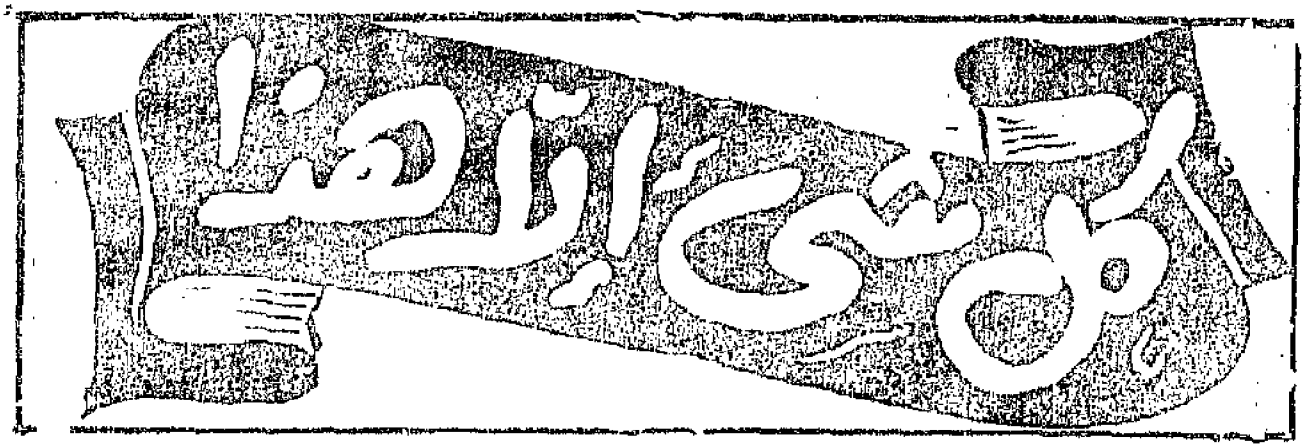

كانت هذه أول أجازة صيفية يقضيها محمد أفندى فى رأس البر وهى كذلك أولى أجازاته على شاطىء البحر بصفة عامة ...

ان البحر كان يقترن فى خيال محمد افندى منذ شب وبلغ مبلغ الرجال بفكرة بشعة ، انه شرك للفضيلة ، يضطرب فيه البشر اضطراب الذباب فى نسيج العنكبوت ..

لقد نشأ فى بيت علم وفضل ودين ، ومحافظة على التقاليد ، وعاش تقيا مستقيما ، يؤدى فرائضه الدينية كالصلاة ، ويغض طرفه اذا بدت له جارته ـ كما كان عنتر يفعل ـ حتى يوارى جارته مأواها ! ..

ومن أجل ذلك وجدت زوجته الحسناء عنتا شديدا فى اقناعه بالاصطياف فى رأس البر ، وكان جوابه الدائم على توسلاتها : « لا ياستى ... كل شىء الا هذا ! » ولولا الدموع ، والمخاشنة ، والتراضى ، وثقته فى زوجته المبنية على خبرة ثلاث سنوات ، وحبه اياها كما لم يحب مخلوقا من قبل لذهبت توسلاتها أدراج الرياح .

على انه وان قبل الاصطياف فى البحر على مضض فقد اشترط على زوجه ان تعتبر كل جزء من جسدها عورة ، وجعلها

تفهم منذ البداية ان أى نزعة للتجرد حتى من بعض ثيابها ، وأية محاولة للتحرر من صحبته ستقابل بمنتهى الشدة والصرامة ...

ورضيت زوجته بهذه الشروط ...

ومنحته قبلة طويلة على سبيل العربون !!

❋ ❋ ❋

هال البحر محمد أفندى عندما رآه ، واعجبته خبرته الهادئة ، واحس لشعاعاته الوديعة وهى تداعب وجهه المحرور بنشوة كنشوة القبلة الاولى من شفتى المرأة الوحيدة فى حياته ... زوجته الحسناء

وفوق ذلك فان الناس الذين رآهم فى رأس البر لم يكونوا من القعدة بمثل ماكان يصفهم له الرواة ، ولم يكونوا رغم التجرد من معظم ثيابهم فجرة كما كان يتصور ...

نعم ان نظرات كانت تتجه الى زوجته من هنا او هناك ، وهى تمشى معه على الشاطىء ، ولكنها لم تكن تختلف عن مثيلاتها فى القاهرة ان لم تكن أشد منها ادبا ، واقل اعمالا فى الوقاحة ...

ولكنه لم ينخدع بكل هذه المظاهر المطمئنة ... ولا حتى بزبد البحر فى بياضه الناصع ، فقد كان يعلم ان الرذيلة دائما حلوة كالرحيق المسموم ، وناعمة كجلد الثعبان الاملس ، وماكرة مكر الثعلب المراوغ ، وانها اولم تكن كذلك لما كان لها هذا العدد الضخم من الرعايا والرقيق والاماء ...

وما اشد ما بلغ اعجابه بزوجه عندما رآها تحترم ما سلف بينهما من عهد ، كأنه ميثاق منزل من السماء .

❋ ❋ ❋

وبينما هما يتريضان على الشاطىء ذات أصيل ، القى محمد أفندى بعينه الى البحر ، واستغرق ، فقالت الزوج :

ـ فيم تفكر ؟ ...

قال : ماأجمل البحر !

قالت زوجه وهى تتنهد :

ـ ماذا كنت تقـــول اذن لو استحممت فيه ؟ ..

فانتفض محمد أفندى كالذى لدغته عقرب ثم قال :

ـ لا ياستى ... كل شىء الا هذا !!

قالت : كذلك كنت تقول عن رأس البر ، ومع ذلك فان رأس البر لاترعبك الآن ؟

قال : لا ياستى .. رأس البر شىء والتعرى امام الناس شىء آخر ...

قالت وهى تبدى الدهشة :

ـ ومن سألك ان تتعرى ؟

قال ضاحكا : اذن أنزل البحر بثيابى ؟

قالت : لم لا تستحم فى الفجر؟

قال متعجبا :

ـ فى الفجر ؟

قالت : نعم فى الفجر وقبل ان يصحو من فراشه مخلوق

قال : أتريدين أن تقتلينى من البرد ؟

قالت : ان البحر فى الفجـــر يكون ادفأ ما يكون ... وفوق ذلك فحمام الفجر يرهف الشهية، ويبعث النشـــاط ، ويطيـــل الحياة

واستسلم محمـــد أفنـــدى للسكوت وكأنه طرد الموضوع ، ولكن عقله كان فى الواقـــع يجتر الفـــكرة ، ويسيغهـــا ببطء ، ويهضمها فى النهاية ، فلم يشرف على الفندق الا وقد اقتنع تماما بأن فكرة حمام الفجر سليمـــة وخالية من العيوب ... فقـــال لزوجته :

ـ وأتى لنا بثياب الحمام

فضحكت وقالت : لقد كنت واثقة ولقد دبرت كل شيء !!

* * *

استحم محمد أفندى فى الفجر ، وافتتن بالبحر ، وتلقى لطمات الامواج بمرح كمرح الاطفال ، وبدت تباشير الشروق فهرول من البحر يجر زوجته جرا حتى لا تفوته الصلاة ...

وفى اليوم التالى بكر بصلاة الفجر ، وايقظ زوجه ، فتراخت قليلا فراح يستحثها حتى لايفوتهما فى هذه المرة منظر الشروق الذى بدت له طلائعه بالامس محفوفة بالعظمة والجلال

ومرت الايام وأخذ محمد أفندى يألف منظر قليل من الناس يستحمون مثله فى الصبح ، ويستمتعون بجمال الوحدة وجلال الشروق .

وراح يراجع معتقداته الماضية عن البحر ، فاتضح له انه كان مسرفا فى التجنى ، وبدا له البحر كمعبد هائل ، تتجلى فيه عظمة الله ...

ولعن الرواة الذين صوروا له البحر متحفا للرذائل ...

ولم يلبث حمام الفجر ان جر وراءه حمام الظهر ...

فقد تراخى محمد أفندى ذات يوم وهو يتغدى فقالت له زوجه :

ـ انك لا تأكل

قال : لقد اسرفت فى الافطار

قالت : ابدا ... هذا عمل الحمام .. واو انك استحممت قبل الظهر لاكلت بنفس شهيتك فى الصباح ...

قال ـ ولم ينتفض فى هذه المرة من الذعر ! ـ أعوذ بالله !

قالت : مم ؟

قال : ان البحر يكون فى الظهر كبرج بابل

قالت : وما يضيرنا نحن ...

قال : لا ياستى . كل شىء الا هذا !!

❋ ❋ ❋

ولكن الزوجة الحسناء لم تعبأ بهذا الاعتراض ، ولم تلبث ان أقنعته بأن البحر هو البحر فى كل حين .. المطهر الاكبر لنزوات النفس ونوازع السوء !!

وألف محمد أفندى ان يستحم قبل الغداء ، ويأكل بشهية ، ثم ينام كالثور حتى الاصيل ..

وتبخرت معتقداته فى البحر حتى لم يبق منها اثر ، وراض نفسه على فكرة جديدة ان الفضيلة شىء فى أنفسنا لا علاقة له بالبيئة ولا بالثياب ، وان القديس يستطيع ان يعيش فى جهنم دون ان يحترق بالنار

واخذت قبضته القاسية حول عنق زوجته تتراخى قليلا قليلا ، ولم يعد يقلقه كثيرا ان يصحو من نومه فلا يجدها بجواره ، مادامت تؤدى حسابا دقيقا عن كل لحظة غابت عنه فيها ...

بل انه كان يكسل عن الحمام أحيانا ثم يبيح لها ان تذهب الى البحر وحدها ، حتى لا يحرمها من حضن البحر الطاهر الحنون .

ولم يخالف عليها ، وهى ترتدى البرنس ذهبة آية .. وهى فوق ذلك فى نظره أعلى من مستوى الشبهات . ؟؟

❋ ❋ ❋

ولكنه ادركها فى البحر ذات يوم فوجدها ممددة على ذراعى رجل لا يعرفه ، تضرب بيديها وقدميها الماء ، على ظهرها تارة ، وعلى بطنها اخرى ، فأحس قلبه بمثل طعنة السكين ، ووضع يديه فى خاصرته ووقف ينظر اليها بعين لا تطرف ، وذهنه يموج بكل خواطره القديمة السوداء عن البحر وما يجرى فيه ...

فوجسدها ممددة على ذراعى رجل لايعرفه تضرب الماء على
ظهرها تارة وعلى بطنها اخرى

ورأته زوجته فأشارت اليه ضاحكة ان يقبل ... ولكنه لم يتحرك ...

فجاءت هى اليه ، تطفر من الفرح كالغزال ، وتقول له : لقد تعلمت الهوم !!

قال محمد أفندى ببرود :

ـ على يد اى معلم محظوظ ؟!

قالت ضاحكة :

ـ هذا جمال ابن الست جارتنا ... الا تعرف جمال ؟!

زال وشر الغضب يتطاير من عينيه :

ـ أنا لا اعرف احدا

ووافاهما ابن الجارة ، وكان شابا وسيما مفتول العضل فمد يده الى محمد أفندى مصافحا

فأحرج محمد افندى وصافح اليد الممدودة ، وكأنه يصافح ذئبا من الذئاب .

وعاد مع زوجته بعد هنيهة الى الفندق صامتا لا يتكلم ..

ولكن فى اليوم التالى شوهد محمد افندى نفسه ممددا على مراعى جمال ينقلب عليهما ظهرا لبطن لتعلم الهوم ! !